

تفسير ابن كثير

هذا مثل ضربه اﷻ تعالى للمشركين به العابدين معه غيره الجاعلين له شركاء وهم مع ذلك معترفون أن شركاءه من الأصنام والأنداد عبيد له ملك له كما كانوا في تلبيتهم يقولون : لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك فقال تعالى : { ضرب لكم مثلا من أنفسكم } أي تشهدونه وتفهمونه من أنفسكم { هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء } أي يرتضي أحدكم أن يكون عبده شريكا له في ماله فهو وهو فيه على السواء { تخافونهم كخيفتكم أنفسكم } أي تخافون أن يقاسموكم الأموال قال أبو مجلز : إن مملوكك لا تخاف أن يقاسمك مالك وليس له ذاك كذلك اﷻ لا شريك له والمعنى إن أحدكم يأنف من ذلك فكيف تجعلون اﷻ الأنداد من خلقه ؟ وهذا كقوله تعالى : { ويجعلون اﷻ ما يكرهون } أي من البنات حيث جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا وجعلوها بنات اﷻ وقد كان أحدهم إذا بشر بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ؟ فهم يأنفون من البنات وجعلوا الملائكة بنات اﷻ فنسبوا إليه ما لا يرتضونه لأنفسهم فهذا أغلظ الكفر وهكذا في هذا المقام جعلوا له شركاء من عبده وخلقه وأحدهم يأبى غاية الإباء ويأنف غاية الأنفة من ذلك أن يكون عبده شريكه في ماله يساويه فيه ولو شاء لقسامه عليه تعالى اﷻ عن ذلك علوا كبيرا .

قال الطبراني : حدثنا محمود بن الفرج الأصفهاني حدثنا إسماعيل بن عمرو البجلي حدثنا حماد بن شعيب عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان يلبي أهل الشرك لبيك اللهم لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك فأنزل اﷻ تعالى : { هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم } ولما كان التنبيه بهذا المثل على براءته تعالى ونزاهته بطريق الأولى والأحرى قال تعالى : { كذلك نفضل الآيات لقوم يعقلون } ثم قال تعالى مبينا أن المشركين إنما عبدوا غيره سفها من أنفسهم وجهلا { بل اتبع الذين ظلموا } أي المشركون { أهواءهم } أي في عبادتهم الأنداد بغير علم { فمن يهدي من أضل اﷻ } أي فلا أحد يهديهم إذا كتب اﷻ ضلالهم { وما لهم من ناصرين } أي ليس لهم من قدرة اﷻ منقذ ولا مجير ولا محيد لهم عنه لأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن